

مطبوعات حديثة

كتاب بادية العرب (١)

تأليف المستشرق التشکوسلوفاکي الويز موزيل (Aloes Musil) أستاذ
الدروس الشرقية في جامعة شارلس ببراغ وعضو المجمع العلمي العربي

لم يكـد ينحو حقـ العـلـاء من تـسـخـيرـ الحـكـومـاتـ فيـ الحـرـبـ العـظـمىـ .ـ فـالـحـكـومـةـ وـانـ
جـازـتـ الـعـالـمـ عـلـىـ عـمـلـهـ ،ـ كـانـتـ تـسـخـيرـ عـلـمـهـ لـاـغـرـ اـضـهاـ السـيـاسـيـةـ وـالـحـربـةـ .ـ وـمـنـ الـعـلـومـ
الـمـسـخـرـةـ فـيـ نـلـكـ الاـيـامـ المـشـرقـيـاتـ .ـ وـمـنـ الـمـسـخـرـيـنـ — مـأـجـورـيـنـ كـانـواـ اوـمـتـطـوـعـيـنـ —
ثـلـاثـةـ مـعـرـوفـونـ يـوـمـ لـاـتـ اـفـلامـهـ نـهـتـ عـلـيـهـمـ .ـ ثـلـاثـةـ مـنـ الـاـوـرـبـيـنـ هـمـ الـكـرـنـلـ
لـوـرـنـسـ وـهـوـ اـكـثـرـهـ شـهـرـةـ وـاقـلـيمـ عـلـاـ ،ـ وـمـؤـلـفـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـهـوـ اـكـثـرـهـ عـلـاـ وـاقـلـيمـ
شـهـرـةـ ،ـ وـالـمـسـتـرـ فـلـيـ ثـانـيـ هـذـاـ وـذـاكـ فـيـ الـعـلـمـ وـفـيـ الشـهـرـةـ .ـ

عـلـىـ اـنـهـ لـمـ يـفـزـ مـنـ ثـلـاثـةـ فـوـزـآـ باـهـرـآـ ،ـ مـنـ الـوـجـهـ الـحـرـبـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ ،ـ غـيرـ وـاحـدـ
وـهـوـ لـوـرـنـسـ .ـ وـلـمـ يـفـزـ مـنـ ثـلـاثـةـ ،ـ مـنـ وـجـهـ عـلـيـةـ ،ـ غـيرـ وـاحـدـ هـوـ الـاـسـتـاذـ مـوـزـيلـ .ـ
اـمـاـ مـنـ الـوـجـهـ الـادـيـةـ الـخـصـصـةـ فـالـثـلـاثـةـ مـتـساـوـوـنـ بـيـنـ الـعـظـمـةـ وـالـكـرـامـةـ — ثـلـاثـةـ مـنـ
الـمـسـائـيـنـ ؟ـ فـيـ حـلـبـةـ الـفـنـ .ـ كـتـبـ لـوـرـنـسـ كـتـابـاـ كـلـهـ طـعنـ وـضـرـبـ وـنـسـفـ وـتـدـمـيرـ —
كـتـابـاـ هـوـ قـصـةـ عـنـتـرـةـ الـانـكـلـيـزـيـ وـلـكـنـهـ خـلـوـ مـنـ الشـعـرـ .ـ وـكـتـبـ فـلـيـ رـحـلـتـهـ فـيـ مجلـدـيـنـ
خـاـوـلـ فـيـ اـسـلـوبـهـ انـ يـقـلـدـ الرـحـالـةـ الشـمـيرـ هـنـرـيـ دـوـنـطـيـ خـفـرـجـ عـنـ الـبـاسـاطـةـ الـحـمـودـةـ
وـلـمـ يـدـرـكـ الصـنـاعـةـ الـمـشـودـةـ .ـ وـأـلـفـ الـاـسـتـاذـ مـوـزـيلـ كـتـابـاـ خـصـمـةـ باـسـلـوبـ عـادـيـ عـلـىـ
لـاـسـتـفـوـيـ مـنـ الـقـرـاءـ غـيرـ مـنـ لـهـ غـرـضـ عـلـيـ اوـمـصـلـحـةـ سـيـاسـيـةـ اوـاـقـتـصـادـيـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـةـ .ـ
قـدـ رـحـلـ هـذـاـ الـمـسـتـرـ الـمـوـرـفـ بـيـنـ الـعـرـبـ بـاـشـيـخـ مـوـسـىـ الـرـوـبـيـ ،ـ بـضـعـ رـحـلـاتـ

(١) طبع باللغة الانكليزية في مطبعة الحكومة (Stáni tiskána, Prague)
لـجـمـعـيـةـ الـجـفـراـفـيـةـ الـاـمـيـرـكـيـةـ بـنـيـوـبـورـكـ (American Geographical Society, New York)
بـعـنـيـةـ الـجـمـعـ الـعـلـيـ التـشـکـوـسـلـوـفـاـکـيـ وـالـمـسـتـرـ كـرـابـنـ الـاـمـيـرـكـيـ المشـهـورـ
بـجـهـهـ الـعـرـبـ .ـ



في القسم الشمالي من هذه البلاد ، فكانت الرحلة الاولى في البتاء وأطراف الحجاز الشمالية في سنوات ١٨٩٦ - ١٩٠٢ ، والرحلة الثانية في الحماد والأراضي الواقعة بين الجوف جنوباً والمياذين على الفرات (١٩٠٩ - ١٩٠٨) ، والثالثة في ندمر وجوارها (١٩١٢) ، والرابعة (١٩١٤ - ١٩١٥) ، هي الرحلة السياسية من أجل الدول الوسطى في الحرب العظمى .

وقد كتب رحلاته باللغة الالمانية ونشرها في بضعة مجلدات . ثم تعاون على ما يظهر المهدات التشکوسلوفاکی والامیرکی ، اي المعهد العلي ببراغ والجامعة الجغرافية بنيويورك (وكان المستر کراین اساس هذا التعاون) في طبع الرحلات باللغة الانگلیزیة . فظاهر في السنة الماضية المجلد الاول منها « البتاء وشمالي الحجاز » وبين يدينا الان المجلد الثاني « بادية العرب » وسيتبعها الثالث والرابع .

يقسم هذا الكتاب المطبوع طبعاً جميلاً ، المزین بالرسوم ، المشفوع بعدة خارطات ، الى ثلاثة أقسام : وله ملحق طوبیل هو كتاب بنفسه . اما الاقسام الثلاثة فأولها وأکبرها هو ثمرة الرحلة الكبرى في الشمال . وثانيها حکایة رحلة صغيرة في العراق من عین التمر الى قصر الاخیضر فالنجف . وفي القسم الثالث جزء من رحلته الاخيرة (١٩١٤ - ١٩١٥) التي رحلها من الشام الى الزیبیبات (في قلب الحماد) ومنها الى الجوف ، خائل ، فالمشهد (النجف) .

وفي الملحق نبذات تاريخية عده منها نبذة طربقة في عرب الشمال في عهد الاستيلاء الاشوري . ونبذة عن دومة الجنديل (الجوف) قبل الاسلام وبعده . وأخری عن طريق القوافل القديمة والحديثة في القسم الشمالي من شبه الجزیرة . ونبذة الثامنة (الاخيرة) في الطريق التي سلکها خالد بن الولید من العراق الى الشام بموجب روايات المؤرخین العرب كالطبری وابن عساکر وابن العبری والبلاذری وغيرهم .

في هذا الكتاب إذن بحث من العلوم التي تهم علماء المشرقیات وتفید المتأدبین من ابناء العرب . وقد يربز لنا في ما يؤثر منه امراء او لها العذاب الذي يقامیه الرحالة المستعرب في طلب العلم ، وثانيها التدقیق الذي يخراه في نقده ثم في تسجیله للناس . وطربقة الاستاذ موزیل في الطریقة العلیمة الالمانیة التي لا ينعدى المحسوس في مثل

هذه الرحلات ، وقلما تسع لنفس التي يروعها الجمال — جمال الشكل وجمال المعنى — ات تعاون الصميم الذي لا يهمه غير الحقيقة الحسابية .

— ٣ —

كانت دمشق باباً للرحلات الثلاث التي يحمل هذا الكتاب أخبارها . جاءها الرحلة في أول عهد الدستور العثماني ، وجاءها عندما أصبح الدستور ساطوراً لضرب أعناق أعداء الاتحاديين (١٩١٢) ثم جاءها في نوفمبر سنة ١٩١٤ وقد أمست الدولة العثمانية سيفاً بيد الالمان ، فكان في الرحلتين الاوليين عالماً ، وكان في الرحلة الأخيرة سياسياً او مسحراً للدعاية الالمانية . ولكن عمله الدائم الحاسن والفوائد هو عمله العلي الجغرافي . ويعود الفضل الاكبر في تمييز سبيله وحمايته في البداية الى صدقه الصدق الامير نوري الشعلان شيخ مشائخ الرولا . على ان تلك الحماية لم تكن دائماً فعلية فةالة . ومن اين لها ان تكون كذلك واعداً النوري يومئذ كثيرون في بادية الشمال وفي الجنوب ، فلم يكن للرولا من القبائل الموالية غير القليل كبعض الحويطات وولده علي والمعاراث .

رحل الاستاذ موزيل — الشيخ موسى الرويلي — في خريف سنة ١٩٠٨ الى المياذين على الفرات ، ومنها نزل الحماد ، ورحل منها الى وادي سرحان ، فالجوف ، فالموجا حيث كان الامير نوري الشعلان مخيماً ، ومن الموجا عاد شمالاً فوصل الى اللاهـة^(١) قرب جبل عنزي (عنزي)^(٢) جنوباً بشرق منه . ثم رجع جنوباً الى سكا كه وقاره ، فاجتمع بنوري ثانية هناك ورافقه شمالاً فمرج على قصر الازرق وقصر الحالات وعاد الى الشام بعد سبعة اشهر من ارتحاله منها .

سبعة اشهر في البداية وفي ايام لم يكن ابن سعود قد استولى عليها كلها . فلا عجب اذا كانت الاسفار محفوفة بالمخاطر . فقد كانت قافلة الشيخ موسى عرضة للصوص

(١) لاهـة — وقد جاءت في مجمع البلدان الإلهـة — كانت قد يديها الحد الفاصل بين عرب الحيرة الذين كانوا يدبون للفرس وبين عرب الشام الذين كانوا يدبون للرومـان .

(٢) جبل عنزي هو اليوم اقصى نقطة الى الشمال في حدود المملكة التجديـة .

والفراة ، فوقيت بابدهم صراراً ، ونحيت بفضل الكرام السجمان من العرب ، وفي
مقدمةهم الامير نوري وابنه نواف والشيخ رشيد بن مهير من مشائخ ولد علي .
ولم يكن الشيخ موافقاً بخدامه وأدلاله فسلبه احدهم ماله ، وخانه الآخر ،
وهيجه الثالث ، وكان الصالح منهم « يصلّي ويفاني نفسه » فسرت الى الشيخ « بركانه »
والعياذ بالله . ثم أمر وأهين في سكافه ، ومرض ورفيقه بالحمى . هي المثفات في
بادية العرب بعضها ينسنك بعضاً ، ويلزمك بعضها لزام الظل ، فيوماً ترتفع الماء
من المohlلات في قبور الآبار ، ويوماً تكاد تهلك من الظاء ، تحرقك في النهار شمس
الماءجة ، وتنائم في الليل من شدة البرد وانت لا تأذن ربلك بشب النار خوف ان
يهندى اليكم اللصوص .

سبعة أشهر من هذه الاختارات والمشقات . ثم عاد الشيخ مومي (مزيل) الى الشام ظافراً بما كان ينشره من العلم — والغنية الكبرى السلامة .

وقد ألم هذا العالم بالعلوم التي تختص بما كان المياه التي نزلها والتي سمع بها، وبين
نزلها من الأقدمين، وبين ينزلها اليوم، وبالطرق إليها القدية وال الحديثة — طرق
الباحثين من بلاد آشور وطرق القوافل من الشرق إلى الغرب — مستشهدًا باقوال
العرب المؤرخين منهم والشعراء وبما اكتُشف في بابل من آثار الآشوريين في
أواخر القرن الماضي — ومصححًا في بعض الأمانات وأغلاط ياقوت الجغرافية وأغلاط
الطبرى وغيره التاريخية .

اما وصفه للبلاد ، جيالها وتلولها وأوديتها وشعابها وآبارها وغدرانها وسبتانها وخيرانها وبراكينها وآثار البراكين والضلوع المكونة من الحمم ، فوصف علىي تام ابى وصف جيولوجي جغرافي . وهو مع ذلك لا يخلو في بعض الاماكن من الجمال كوصف الحماد عند الغروب (صفحة ٢٣) والخَبْرَة (صفحة ٢٦) والقرن او القرن بالنسكين كما يلفظها البدو (صفحة ٤٦٦) والسراب (صفحة ٢٢٢) وشجر الغضى في التفود (صفحة ١٤٩) وقد قال ان نار الغضى تدوم تحت الرماد عشر ساعات لا غير . ومن فوائد الكتاب ملخص يوم درس القبائل ، او ملخص لم أشغال معها ، ماجاه فيه عن عرب الرولا والعبارات والنفعان وولد على . فقد ذكر المؤلف أنفـاـذ كل قبيلة

وبطونها وشيوخها ومصاربها والاماكن التي تصيف وتربيع وتشفي فيها . وأهم ما جاء في هذا الباب احصاؤه لعرب الصليب الذين تضاربت فيهم آراء العلماء والمورخين . ولنقسام الصليب الى اقسام تدعى بالـ كآل ماجد في جوار الكوبت ، وآل جيل في القصيم ، وآل بـاق في جوار حائل ، وآل وذيع وآل راضي في الحماد اخـ . وعددهم بأمسهم ثمانية عشر بطنـاً وعدد خيامهم كلـها ١٤٦٠ خيمة . والصلـيب تدفع الخـوة للبدو المجاورة لهم مقابل الحـابة . ولكل قبيلـة كبيرة شيخـ خاص بذلك ، هو ضابـط الارتباط بين تلك القـبيلـة والصلـيب المقيـمين في ديرـتها او جوارـها .

كان هؤلاء العرب من غير العرب اصلاً . وقد قـيل في ذلك أقوال هي كلـها من بـاب التـخيـن . فقد يكونـونـ من بـقـايا الصـليـبيـنـ فيـ هـذـهـ الـبلـادـ . او كـماـ قـيلـ للـاستـاذـ مـوزـ بـلـ وـقـيلـ لـنـاـ - وـهـوـ الـأـرـجـعـ - قد دـخـلـوا الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ مـنـ الـحـسـاءـ فـيـرـجـعـ إـذـنـ انـ يـكـوـنـواـ مـنـ بـقـاياـ الصـابـئـيـنـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ .

ومن مـحـاسـنـ هـذـهـ الـكـتـابـ انـ اـسـماءـ الـاعـلامـ وـالـاماـكـنـ وـالـآـبـارـ مـضـبـوـطـةـ كلـهاـ بـقـدرـ ماـ يـسـطـعـ الـاجـنـيـ ضـبـطـهاـ ، فـيمـكـنـ القـارـيـ الـعـرـبـيـ - اـذاـ مـاعـرـفـ القـاعـدـةـ انـ يـرـدـهاـ الـىـ اـصـلـهاـ دونـ اـنـ تـلـبـسـ عـلـيـهـ السـيـنـ وـالـصـادـ مـثـلاـ ، اوـ الطـاءـ وـالـتـاءـ ، اوـ الدـالـ وـالـفـادـ .

على انه من وجهـةـ انـكـلـيزـيةـ ، يـنـقـدـ عـلـيـ المؤـلـفـ انهـ فـيـ الطـبـعةـ الـانـكـلـيزـيةـ لمـ يـنـتـعـ القـاعـدـةـ المـصـطـلـعـ عـلـيـهاـ فـيـ اـكـسـفـورـدـ وـالـجـمـعـيـةـ الـمـلـكـيـةـ الـآـسـيـوـيـةـ ، وـالـيـ أـصـبـحـ شـائـعـةـ بـيـنـ الـمـسـتـشـرـقـيـنـ وـالـادـبـاءـ الـذـيـنـ يـكـتـبـونـ فـيـ الـمـواـضـيـعـ الـشـرـقـيـةـ . وـمـنـ اـكـبرـ شـوـاـذـهـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ اـنـ عـبـرـ عـنـ الـيـاءـ بـالـجـيـمـ (J) وـهـيـ بـالـانـكـلـيزـيةـ لـاـ تـؤـدـيـ مـعـنـاهـ بـالـلـامـيـةـ . فالـقـارـيـ الـامـيـرـيـ اوـ الـانـكـلـيزـيـ الـذـيـ يـقـرـأـ (Dmejr to Al-Mijadin) لاـ يـسـطـعـ اـنـ يـلـفـظـ السـكـلـةـ الـاـولـيـ وـيـقـولـ فـيـ الثـانـيـةـ : المجـادـينـ لـاـ المـيـاذـينـ . فـكـانـ يـنـبـغـيـ لـمـؤـلـفـ اوـ الـخـورـ اـنـ يـسـتـعـيـضـ عـنـ هـذـهـ الجـيـمـ (J) بـالـ(Z) فـيـ كـتـبـ (Jamama) لـاـ (Yamama) وـ (Zabibijjat) لـاـ (Zabibiyat) .

وـمـاـ يـزـيدـ فـيـ سـمـيـعـ الـكـتـابـ وـيـسـبـحـ القـارـيـ ، التـدقـيقـ فـيـ بـعـضـ الـاـمـورـ الـيـ لـاـ تـنـفـدـ وـلـاـ تـهـمـ اـحـدـاـ ، مـثـالـ ذـلـكـ مـاـ لـاـ تـكـادـ تـخـلـوـ صـفـحةـ مـنـهـ : «ـ مـنـ السـاعـةـ ١١/٠٨ـ الـىـ ١١/٢٢ـ اـسـتـرـحـناـ . وـفـيـ السـاعـةـ ٢٤٥ـ بـعـدـ الـظـهـرـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ شـعـبـ الـفـارـيـ »

شمالي آبار الشُّبَهَةِ» . «رعت جمالنا من الساعة ٩/٥٦ إلى الساعة ١١/٤٢» . وهل ينقص الكتاب أو العلم شيءٌ ؟ نافع اذاً أهمل مثل هذا التدقير في الاستراحة والرحيل . وفي مراعي الاباعر ؟ .

— ٣ —

في الرحلة الثالثة (١٩١٤-١٩١٥) يوم جاء الاستاذ موزيل (الشيخ موسى الروبي) دمشق كان الامير نوري الشعلان معقلًا في الضمير ، فتوسط لدى الحكومة من دجلة ؟ فأطلقت الحكومة سراح الامير بعد ان تفاهمت واياه على محاربة الانكليز وعدها النوري وعداً كان الشوق الى البداية ، بل الى الفرج ، اكبر مافيها ، وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينذر صديقه ومنقذه الشيخ موسى .

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ شيوخ الرولا . راح يفترش عليه في البداية ، وظل يطوف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيمه بخربة الهاجن جنوب اللاهـة في قلب الصحراء . وقد كانت اوفر حظاً في هذه الرحلة منه في الرحلة الاولى . كيف لا وهو الاـنـ مـندوب او شـبهـ مـندوبـ الدولـ الوـسـطـيـ فيـ الحـرـبـ العـظـيـ ؟ كيف لا وفـالـلهـ هيـ ضـعـفـ ماـ كـانـ فيـ السـفـرـ الاولـيـ وـيـفـيـ اـحـمـاـهـاـ الـهـدـاـيـاـ لـشـيـوخـ الـبـدـوـ ؟ رـحـلـةـ عـلـيـهـ خـيـرـهـاـ جـزـيلـ لاـ يـرـاقـفـهـاـ غـيرـ الشـقاـءـ . وـرـحـلـةـ مـيـاصـيـةـ لـخـيـرـهـاـ لـاحـدـ نـرـاقـهـ التـجـلةـ وـالـكـرـامـةـ . هيـ الحـيـاةـ حقـيـقـةـ فيـ الـبـادـيـةـ .

وما أجمل ما كـانـ منـ استـقبالـهـ فيـ مـخـيمـ الـنـورـيـ بـخـربـةـ الـهـاجـنـ . جـلسـ اـخـوـ العربـ الشـيـخـ مـوسـىـ الـفـلـاخـيـ (Czech)ـ اـلـىـ يـمـينـ الـامـيرـ ، وـكـانـ فيـ سـلـامـهـ ، وـيـفـيـ شـوـقـهـ ، وـفـيـ اـسـتـلـتـهـ كـواـحـدـ مـنـ الـعـربـ ، بلـ كـواـحـدـ مـنـ بـيـتـ الشـعلـانـ . وـقـدـ حـزـنـ حـزـنـ وـاحـدـ مـنـهـ عـنـ بـعـضـ اـصـدـائـهـ الـغـائـبـينـ وـسـمعـ الجـوابـ .

— «ومدوح بن سطام ، وعبدوب بن مجنول ، وسعود (ابن الامير نوري) اين هـمـ ؟» فأجاب الـامـيرـ بـكلـةـ وـاحـدةـ : «راـحـواـ» .

ثم أخبر أخاه الشيخ موسى كيف قـُتـلـ عـذـوبـ فـيـ الغـزوـ . «عادـتـ فـرسـهـ وـحدـهـ مـلـطـخـةـ بـالـدـمـ» وـكـيفـ قـُتـلـ مـدـوحـ فـيـ غـزوـهـ بـعـضـ عـرـبـانـ شـمـرـ . «غـرـاهـمـ بـالـنـفـودـ فـتـمـ جـمـاـمـ وـغـرـبـ هـادـبـاـ وـرـجـالـهـ . فـكـنـ لـهـ العـدـوـ ، وـوـقـعـ مـدـوحـ بـيـنـ الشـامـةـ فـيـ

شعيـب العـاه . جـانا بـخبره مـنْ نـجـوا و «حـنـتا» بـتـل العـامـود » . وـابـنه سـعـود ؟ ذـهـب فـرـيـسـة الـغـدر . « قـتـلهـ كـلـابـ بنـ غـازـيـ عـنـدـ مـلـقـيـ وـادـيـ الشـعـيمـ بـوـاديـ سـرـحانـ شـالـيـ قـرـاقـرـ . جـاءـوهـ غـادـرـينـ يـقـولـونـ انـهـمـ بـأـصـرـةـ عـودـةـ اـبـيـ تـاـبـهـ — وـعـنـ بـانـ بنـ غـازـيـ يـلـبـسـونـ مـثـلـ عـرـبـاـنـ عـودـةـ — فـصـدـقـهـمـ سـعـودـ وـأـنـزـلـهـمـ عـلـيـهـ فـغـدـرـواـ بـهـ . « ثـورـواـ » الـبـنـادـقـ مـفـاجـأـةـ عـلـىـ سـعـودـ وـرـجـالـهـ فـقـتـلـوـهـ وـقـتـلـوـ اـرـبـعـةـ مـعـهـ ، وـشـرـدـواـ . وـلـكـنـ الـبـاقـينـ مـنـ رـجـالـنـاـ لـقـواـ بـهـمـ ، فـأـدـرـ كـوـهـ صـبـاحـ الـيـوـمـ الثـانـيـ ، وـسـاقـوـهـ إـلـىـ الـمـكـانـ الـذـيـ سـالـ فـيـهـ دـمـ سـعـودـ ، فـذـبـحـوـهـ وـرـؤـوسـهـ إـلـىـ الـقـبـلـةـ ذـبـحـ الغـنـمـ » .

هـيـ حـيـاةـ الـبـدـوـ . وـقـدـ جـاءـ الشـيـخـ مـوـسـىـ مـنـ « دـيـرـ الـفـلـاخـ بـاـوـرـ بـاـ » بـنـصـبـهـ بـانـ « يـثـورـواـ » بـنـادـقـهـمـ عـلـىـ الـأـنـكـاـيـزـ بـدـلـ اـنـ « يـثـورـوـهـاـ » بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ . جـاءـ يـوـقـعـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ الـمـتـعـادـيـةـ وـيـسـتـهـضـهـمـ فـيـ مـاـنـاصـرـةـ الـدـوـلـةـ الـعـلـيـةـ وـحـلـيـفـتـهـاـ الـمـانـيـاـ وـالـنـسـاـ . وـكـانـ الـأـمـيرـ نـورـيـ قـدـ خـرـجـ مـنـ دـمـشـقـ وـالـحـكـومـةـ تـظـنـ اـنـ سـيـسـىـ وـالـشـيـخـ مـوـسـىـ لـإـنـجـاحـ الـشـرـعـ . وـلـكـنـ الـحـكـومـاتـ لـاـ تـرـجـمـ بـالـغـيـبـ ، وـفـلـماـ بـقـعـ الـبـدـوـ قـلـوـهـمـ فـيـ غـيرـ الـبـادـيـةـ .

قال الـأـمـيرـ يـخـاطـبـ الشـيـخـ مـوـسـىـ فـيـ جـلـسـتـهـ الـأـوـلـىـ السـيـاسـيـةـ : « اـنـتـ يـاـ أـخـيـ تـعـلـمـ مـاـ بـقـايـ . اـنـتـ تـعـلـمـ اـنـيـ لـاـ أـنـقـ بـالـحـكـومـةـ وـلـاـ الـحـكـومـةـ تـقـيـ بـيـ . لـوـلـاـكـ لـكـنـ لـاـ أـزـالـ اـسـيـراـ فـيـ الغـوـطـةـ وـهـذـهـ الـحـكـومـةـ تـنـطـلـبـ مـنـيـ اـنـ أـسـاعـدـهـاـ فـيـ مـحـارـبـةـ الـأـنـكـاـيـزـ . تـنـطـلـبـ مـنـيـ اـنـاـ النـورـيـ الـذـيـ حـاـوـلـتـ مـرـةـ اـنـ تـشـقـهـ ، النـورـيـ الـذـيـ ظـلـ مـتـنـيـ فـيـ مـجـنـهـاـ ، النـورـيـ الـذـيـ خـلـصـتـهـ اـنـتـ يـاـشـيـخـ مـوـسـىـ مـنـ المـشـنـقـةـ ، تـنـطـلـبـ مـنـهـ هـذـهـ الـحـكـومـةـ الـمـلـعـونـةـ الـوـالـدـيـنـ اـنـ يـسـتـنـفـرـالـعـرـبـ بـاـنـ لـحـارـبـةـ الـأـنـكـاـيـزـ وـهـذـهـ الـحـكـومـةـ وـالـلـهـ يـاـ أـخـيـ ، تـضـرـنـاـ اـذـاـ أـرـادـتـ وـتـضـرـ اـهـلـنـاـ وـعـشـائـرـنـاـ . بـلـزـمـنـاـ ثـيـابـ . وـبـلـزـمـنـاـ فـعـ وـبـلـزـمـنـاـ شـعـيرـلـيـلـنـاـ . وـهـذـهـ لـاـ يـنـجـدـهـ اـلـيـوـمـ فـيـ غـيرـ الشـامـ . وـاهـلـ الشـامـ لـاـ يـبـيـعـونـنـاـ اـذـاـ عـادـنـاـ الـحـكـومـةـ . اـهـلـ الشـامـ يـكـرـهـونـ الـحـكـومـةـ مـثـلـنـاـ وـيـسـاعـدـهـمـاـ عـلـيـنـاـ . فـهـلـ نـلـوـمـنـيـ اـذـاـ وـعـدـتـ الـحـكـومـةـ بـالـمـسـاعـدـةـ . « سـأـنـطـيـهـاـ » الـوـعـدـ بـالـكـلـامـ وـالـكـتـابـةـ وـلـكـنـيـ أـدـفـعـ الـمـيـرـةـ وـالـلـهـ . أـسـاعـدـ الـحـكـومـةـ بـمـاـيـ . أـطـعـ الـمـلـعـونـةـ الـوـالـدـيـنـ مـنـ الـدـهـبـ . صـاعـبـ بـاشـاـ (ـالـمـشـيرـ يـوـمـئـذـ)ـ اـكـلـ أـرـطاـلـاـ مـنـ ذـهـبـ . وـعـنـدـمـاـ لـجـأـتـ اـلـهـ حـكـمـ عـلـيـ

بالشنق . . . هي تبني الرجال والجمال للحرب . ونقول لي إنها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد . والله أعلم اذا كانت نكذب او نصدق في قوله » .

عند هذا قطع نواف عليه الحديث قائلاً : « هي تكذب يا أبي » وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ . . . وهذا الانور هو الذي صالح ابن سعود واعطاه « النياشين » ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحار به . . . ولو لا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهد الصلح بيننا وبينه وبينه وبين ابن سعود . . . اعلم بأشيخ موسى ان أبي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بالله ما يلزمه من السلاح والذخيرة ليحمي عشائره ويحمي رعايا الحكومة في القرى المجاورة للبادية . أما ابن الرشيد فالحكومة « نطيه » كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية و« نطيه » كل ما يبغى من السلاح والذخيرة ، فقويه علينا ، فليس بـ « طروشنا » وبقتل رجالنا .

الامير نوري : « وما العمل يا بني نواف ؟ هل يمكنك ان تخارب ابن الرشيد ؟ وain سلاحنا من سلاحه ؟ اربعة آلاف بندق على خمسة عشر الف موزر . وخرطوشنا ما ينفع . لا يأوليد . خيره لنا ان نطيع الحكومة ونتنظر . لنتنظر الى ان تنشئي الحرب . الحكومة تبني السلم بين المشاير . و « حنا » الرولا تبني السلم — خجاج الى السلم » .

الشيخ موسى : « الحق مع والدك بانواف . اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد وتخافكم الدولة . . . وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصلحونكم . . . ويهب انت تصلحوا ابن الرشيد » . وكان عودة ابو تايه حاضراً فاصفع عمما في صدره وكان في ذلك اصرح من النوري وابلغ من التواف . قال عودة : « وهل تظن الحكومة اتنا لا تفهمها ؟ نقول لنا : السلم . وهي تبنينا للحرب . هي لاثق بنصارى سوريا ولا ثق بدروز حوران ، ويلزمها جمال لتشي الى مصر . وهي تعرف ان مازالت القبائل متعددة تعتذر كل قبيلة وتخليها على عدوها . اقول انا ابو تايه للدولة : دونك وعطيان ^(١) . ويقول

(١) وعطيان بن غازي شيخ العويظات الذين كانوا يومئذ معاونين لعويظات عودة أبي تايه .

لما النوري : دونك والقدعات . ويقول لها التواف : دونك وابن الرشيد . وهم يقولون لها قولنا ويجيئونها علينا . النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا . اي بالله يلزمـنا السلم . يلزمـنا لصلحتـنا لالمصلحة الحكومة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها انتـ غشيـ معـها بشرطـ ان تردعـ اعدـاءـنا وهمـ فيـ الظاهرـ اصحابـها .

الشيخ موسى : « وهـلـ تـمـشـيـ وـعـرـبـانـكـ مـعـ الجـيـشـ إـلـىـ مـصـرـ » .

عودـةـ : « لاـخـرـجـ مـنـ الـبـادـيـةـ مـاـزاـلـ فـيـهاـ خـصـومـاتـ وـلـكـنـ اـذـاـ صـالـحـ عـبـطـانـ وـابـنـ الرـشـيدـ وـاعـطـتـنـيـ الـحـكـوـمـ الـسـلاـحـ وـالـدـهـبـ - يـلـزـمـنـيـ ذـهـبـ وـسـلاـحـ - اـمـشـيـ وـالـلـهـ ، اـمـشـيـ إـلـىـ مـصـرـ » . وـكانـ بـيـنـ الـامـيرـ بـعـضـ شـيـوخـ الـعـارـاتـ فـقـالـ اـحـدـهـ مـجـبـيـاـ عـلـىـ كـلـةـ لـلـشـيـوخـ مـوـسـىـ فـيـ الـجـهـادـ : « الـجـهـادـ هـوـ اـنـ نـخـمـيـ خـيـامـنـاـ وـطـرـوـشـنـاـ » .

وـفـيـ لـغـةـ الـمـقـدـنـيـنـ الـجـهـادـ هـوـ الـحـربـ فـيـ سـبـيلـ الـوـطـنـيـ فـيـ قـوـلـ الـأـنـكـلـيـزـيـ مـثـلـاـ : الـجـهـادـ هـوـ اـنـ نـخـمـيـ بـرـيـطـانـيـاـ الـعـظـيـزـ وـمـنـلـكـاتـهـ . لـاـ فـرـقـ إـذـنـ بـيـنـ عـقـلـيـةـ الـبـدـوـيـ وـعـقـلـيـةـ الـأـنـكـلـيـزـيـ . فـلـاـ ذـاـ يـكـرـمـ هـذـاـ فـيـ جـهـادـهـ وـيـتـهـمـ ذـالـكـ بـالـوـحـشـيـةـ ? .

« وـاعـلـمـ يـاشـيـوخـ مـوـسـىـ » - الـكـلـامـ اـشـيـوخـ آـخـرـ مـنـ شـيـوخـ الـعـارـاتـ - « اـنـاـ لـاـ نـكـرـهـ الـأـنـكـلـيـزـ وـلـاـ نـخـمـهـ » . وـلـكـنـ اـذـاـ اـقـتـرـبـواـ مـاـنـ وـحاـلـوـاـ التـعـدـيـ عـلـيـنـاـ فـالـوـبـلـ لـهـ . هـمـ الـآنـ يـخـارـبـونـ الـدـوـلـةـ فـلـتـحـارـبـهـمـ الـدـوـلـةـ يـخـيـشـهـاـ » .

الـأـمـيرـ نـورـيـ : « كـلـامـكـ زـينـ ، وـلـكـنـ يـحـبـ انـ نـطـيـعـ الـحـكـوـمـ . اللـهـ يـنـصـرـ الـدـوـلـةـ » . ثـمـ قـالـ لـلـشـيـوخـ مـوـسـىـ وـهـوـ عـائـدـ وـإـيـاهـ إـلـىـ خـيـامـهـ : « لـاـ بـدـ مـنـ الـكـلـامـ السـيـاسـيـ . فـلـاـ يـسـوـدـ وـجـهـيـ اـحـدـ مـعـ الـحـكـوـمـ » .

وـظـلـ النـورـيـ يـتـدرـعـ بـالـسـيـاسـةـ - ظـلـ بـداـويـ وـيـتـلوـنـ - إـلـىـ اـنـ ظـهـرـ فـيـ الـعـجـازـ بـعـدـ سـنـةـ الـكـرـنـلـ لـورـنـسـ فـلـبـ الـخـيـالـ الـأـنـكـلـيـزـيـ النـسـرـ الـأـمـاـنـيـ .

اجـلـ ، قدـ ظـفـرـ لـورـنـسـ بـاـلـمـ يـظـفـرـ بـهـ الشـيـوخـ مـوـسـىـ بـجـمـعـ شـمـلـ العـربـاتـ وـبـفـيـ مـقـدـمـهـ الـرـوـلـاـ وـالـمـحـوـيـطـاتـ وـضـمـمـهـ نـحـتـ لـوـاءـ الشـرـيفـ - لـوـاءـ الـاحـلـافـ - وـكـانـ النـفـلـ الـأـكـبـرـ فـيـ فـوزـهـ لـلـذـهـبـ الـأـنـكـلـيـزـيـ .

وـمـعـلـومـ اـنـ الـلـيـرـةـ الـأـنـكـلـيـزـيـةـ تـزـيدـ الـلـيـرـةـ الـشـهـابـيـةـ عـشـرـ بـنـ غـرـشاـ .

ومسالوم —، يوم ١ — ان عقلية اولئك الاحلاف مثل عقلية شيخ العارات الذي قال : «المجاهد هو ان نتحمّي خيامنا ونطروشنا» .
 فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال ؟ هل يلامون في ما نقاوضونه للدفاع عن الانكلترا والفرنس؟ ونحن نرى اليوم ما يتقاضانا الاجنبي في دفاع اسمى عنا ؟ !

قد كشفت لنا الايام بعد تسع سنوات من المذلة ، عن بواطن الاحلاف ونياتهم فصرنا نعذر العرب لأنهم باعوا الدولة العثمانية بل الدول الوسطى بعشرين فضة . بل صرنا نأسف لأن التدول الوسطى انسحب يومئذ من المزايدة ، والا لا تقبلت الآية ولباع العرب لورنس والشريف ودول الاحلاف جمعاً بعشرة لا بعشرين فضة .
 عضو المجمع العلمي العربي

امين ريجاني